النفس هي الصحراء بين الجسد والروح

منذ زمن بعيد، وما زلنا بين ازدواجية الحياة وتناقضاتها. ولادة وموت، نور وظلام، جهل ومعرفة والانسان يسأل:

اللامنظور حقيقة ام وهم؟ هل كل شيء لامنظور هو روح؟ هل النفس هي الذات هي الروح؟

كلمات حفرت باللاوعي اخدوداً منذ ان إستوى الوعي البشري وتعششت الازدواجية في اوصال الانسان لافحة الوعي الظاهري من حين الى آخر. وما زلنا نتأرجح بين رفض وقبول، وتصديق وعدم تصديق ولا نزال ننتظر... ولكن ماذا ننتظر؟

هل ننتظر الحقيقة تخرج من مهدها الحقيقي وتضع نفسها بين ايدينا؟ هل ننتظر من المعرفة الشاملة ان تقول انا هنا التقطني؟ هل ننتظر من الوعي الكلي ان يقدم نفسه دون مجهود فردي؟ لا، وألف لا، الانسان هو الذي يجب ان يجدّ ويسعى للوصول الى الحقيقة الموجودة فيه ساطعة كالشمس، وهو الذي يجب ان يكافح للوصول الى المعرفة التي تحتاج الى باحثين، لتفتح الوعي الذي يحتاج لتطبيق المعرفة واختبارها.

اذن، دعونا ندخل الى عمق الحياة، الى هدف الوجود، الى اهمية الانسان. الى دراسة الخفي واللامنظور في الكائن البشري. لان الحقيقة لا تكمن في مكان ظاهر للعيان خوفاً من ايدي العابثين بل تكمن في اعمق اعماق الذات، اعترفنا بذلك ام لم نعترف.

دعونا ننطلق الى معرفة نفوسنا التي بتنا نجهل منها ما يقارب التسعين بالمئة وهذه النسبة التقريبية تحقّق منها العلم قائلاً: ان الانسان يستعمل من خلاياه الدفاعية بين خمسة وعشرة بالمئة وبين تسعين وخمسة وتسعون بالمئة ما زالت غافلة لاواعية. دعونا نخرج من المعتقدات القديمة البالية، ومن التحجر والانغلاق ومن التردد والانانية وهيّا بنا نقرع الابواب التي لم تقرع بعد! ونمشي على الارصفة التي لم يمشي عليها احد! وندخل الغابات التي لم يجرؤ الا القليل على دخولها! نعم! طريق الوصول وعرة. تتطلب تضحية ومسؤولية، تتطلب صبراً ومثابرة.

الا فلنبقى في عداد الموجودين لاننا وجدنا، وليس من الذين وجدوا لتحقيق نفوسهم والتطور بمعرفتها. فلنبقى من عداد المنتسبين الى الحياة وليس السائرين الى هدف وجودها، فلنبقى من عداد الذين يعيشون ليأكلون وليس من الذين يأكلون ليعيشون.

ان المسير نحو معرفة نفوسنا هو هدف الحياة، يتطلب اقداماً وجرأة ولكن دون تسرّع، يتطلب هدوءاً داخلياً ولكن دون برودة وركود.

وما زال البعض يخشى التقدم، ما زال لا يجرؤ على خوض غمار المعرفة. ما زال يخاف من الوعي ولكني اقول:

هلموا لننطلق قبل ان يبلعنا اليم في الظلمة الموحشة، وهيا الى التجدد قبل ان تأكل الرتابة ضعفنا ويقضي الفشل على تقدمنا. اقدموا ولا تخافوا! لا يمنع الانسان عن التقدم الا الخوف، ولكن لماذا؟ لنكن على علم ان الحقائق ليست في الظاهرة والمعلوم بل في الخفي والمجهول. والانسان عدو ما يجهل ولكن لماذا لا يكون صديق ما يعلم؟ وينطلق مما يعرف الى ما لا يعرف. هذه هي درب معرفة الذات الحقيقية. درب السائرين نحو التفوق.

قد يعتقد البعض ان كل شيء خارج الجسد هو روح وهنا اقول: ليس كل خفي هو روح! وليس كل لامنظور هو ذات! وليس كل غير ملموس هو نفس! هناك فارق شاسع بين النفس والذات والروح لان الافكار والمشاعر والاحاسيس هي ذبذبات غير مرئية ولكنها ليست روحاً. الروح وحدة، اما الافكار والمشاعر مزدوجة تصدر عن مكونات خاصة بالمشاعر والافكار، ارقى من مستوى الجسد وارقى من الروح. وان الانسان كيان عظيم يحوي ما في الكون، وكما قال ابن عربي «او تحسب انك جرم صغير. وفيك انطوى العالم الاكبر»!

الا يعني هذا القول ان مسافات شاسعة بين الجسد والروح. لا هي مادة ولا هي روح. وان لم نصدق ابن عربي الا نصدق سقراط عندما قال: «اعرف نفسك تعرف كل شيء». والى من فاته الاطلاع على ما حققه العلم مع المصور الروسي كيرليان في اواسط الخمسينات فانه استطاع ابتكار آلة متطورة التقطت الحقل الكهرطيسي حول الجسد، وهذا الحقل غير مرئي بالعين المجردة وهو ليس الروح.

ماذا ننتظر بعد، هل ننتظر من العلم اكتشاف آلة جديدة تكشف المكونات التي تصدر الافكار والمشاعر حتى نعترف بوجودها.

لماذا لا نتعرف الى نفوسنا وننطلق منها؟ لماذ لا ندخل الى مختبرنا الذاتي؟ اليس الانسان هو المختبِر والمختبَر، اليس هو الباحث وموضوع البحث وحقل الابحاث في الوقت نفسه؟ الكل يريد ان يصل الى هدف وجوده. الكل يتمنى الوصول الى المعرفة الشاملة، الكل يبغي ان يعرف الحقيقة ولكن ليس الكل يسعى للوصول، بل يريدون الحقيقة على طبق من فضة.

ان الطريق صعبة وشاقة. لكنها ليست مستحيلة، المجاهل مخيفة، ولكن للعراة الذين لا يملكون الفكر النير. وهم لا يبحثون خوفا من الخروج عن مسار الايمان الاعمى - للمتشبثين بالماديات وسلبيات الإينوية ولا يريدون التخلص منها.

ميشال هيدموس